مجلة الباحث – المدرسة العليا للأساتذة الشيخ العلامة مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري – بوزريعة – الجزائر

المجلد: (15)	العدد: (02)	السنة:2023	صفحات المقال: 261– 277	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

الحدود المملوكية النوبية
بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري
(692-741هـ/1290-1341م)

The Mamluk Nubain border
between war friction civlized contact
(1341-1290 / 741-692)

د. فهيمة سعودي

جامعة آكلي محند ولحاج، البويرة، (الجزائر)

f.saoudi@univ-bouira.dz

د. ليلة أزرار

جامعة آكلي محند ولحاج، البويرة، (الجزائر)

l.azrar@univ-bouira.dz

تاريخ الإرسال: 20 / 03 / 2022 **تاريخ القبول: 22 / 03 / 2023** **تاريخ النشر: 21 / 12 / 2023**

المؤلف المراسل: د. فهيمة سعودي، f.saoudi@univ-bouira.dz

الملخص:

حاولنا من خلال هذا البحث تسليط الضوء على أهم فترة من فترات التاريخ الإسلامي، والمتعلقة بالعلاقات بين المماليك وبلاد النوبة في الفترة 693-741هـ/1294-1341م بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، من خلال التواصل بينهما عن طريق العلاقات السياسية والتقارب الثقافي الديني.

حيث سعى كل طرف لتحقيق التوازن لصالحه ،خاصة إذا ما اعتبرنا أن بلاد النوبة كانت بمثابة البعد الاستراتيجي لمصر من ناحية الجنوب.

الكلمات المفتاحية:

دولة المماليك، بلاد النوبة، العلاقات السياسية، التواصل الحضاري.

Abstract:

Through this research, we tried to shed light on the most important period in Islamic history, linked to the relations between the Mamluk countries and Nubia during the period (693-741 AH / 1294-1341), concerning the warlike friction and various civic communications, through the establishment of political relations and religious cultural rapprochement, is trying to achieve a balance each in its favour, and that the Nubian country was the strategic of Egypt from the south side.

Keywords:

Mamluk state; Nubian country; political relations; civic; communication.

المجلد: (15) | العدد: (02) | السنة:2023 | صفحات المقال: 261– 277 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

1.المقدمة:

تعد العلاقات الخارجية بين الدول صورة من الصور السياسة في أي عصر من العصور خاصة العصر الإسلامي ،إذ انعكست تلك العلاقات على الواقع المعاش في تلك الحقبة، فبقدر ما كانت السّلطة القائمة تتمتع بالقوة والحنكة، بقدر ما جنّبت البلاد الكثير من الأزمات ذلك حال دولة المماليك[1] (648-923هـ/1250-1517م).

فطبيعة المماليك وحكمهم لمصر وبلاد الشّام، كان له الأثر الكبير في طبيعة تلك العلاقات التي ارتبطت بها مع الدول والإمارات في ذلك العصر، خاصة بلاد النوبة التي كانت بمثابة بعد استراتيجي لها، فمجريات الأحداث بمختلف جوانبها هي التي صبغت تلك العلاقات بالهدوء تارة والتوتر تارة أخرى، وفي هذا الإطار طرحنا الإشكالية التالية: هل ترجمت حقا العلاقات الدبلوماسية المملوكية النوبية طبيعتها أم كانت طموحا إلى ما هو أبعد؟ وما هي وسائل الضغط التي انتهجها كلّ طرف للحفاظ على مصالحه في ظّل التوتر والاستقرار؟

2. الاتصال السياسي المملوكي مع بلاد النـــوبة :

يطلق لفظ النوبة على أجزاء من وادي النيل الممتد على جانبي نهر النيل بين مدينتي أسوان والخرطوم حاليا، من بين المظاهر التي ميزتها اختلاف المناخ بين الجزأين وكذا انحناءات المجرى فيها بين أسوان والخرطوم، لذا قسمت إلى ثلاثة أقسام: وادي النوبة العليا، وادي النوبة الوسطى ووادي النوبة السفلى، وقد أطلق عليهم اليونانيين اسم إثيوبيا، وهم ينقسمون إلى خمسة مجموعات رئيسية: المحس، الدناقلة في الجنوب، السكوت، الفديجة والكنوز، لغتهم لا تختلف كثيرا عن بعضهم البعض[2].

وصفها الجغرافيون فقال عنها العمري: "النوبة تلي مصر في نهاية جنوبها على ضفتي النيل الجاري إلى مصر وقاعدتها دنقلة ومدنها أشبه بالقرى والضياع في المدن قليلة الخير والخصب يابسة الهواء "[3]، أما اليعقوبي فقد ذكر أن حدودها القطر المصري والبحر الأحمر وصحراء ليبيا وبلاد الخرطوم، فيها يجرى النيل من قرب أسوان إلى ملتقى النيل الأبيض بالأزرق، يتكلم سكانها باللغة العربية والنوبية[4].

المجلد: (15) | العدد: (02) | السنة:2023 | صفحات المقال: 261– 277 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

يبدو أن مرحلة التاريخ النوبي المسيحي يكترثها الكثير من الغموض لقلة المصادر وهذا ما ذكره المؤرخ مصطفي محمد سعد ،كما أضاف أيضا أن معظم الروايات ترجح دخول المسيحية إليها عن طريق مصر حوالي منتصف القرن الأول ميلادي علي يد القديس مرقس الإنجيلي[5]، الذي بني أول كنيسة مصرية بالإسكندرية ،غير أن تعرض المسحيين المصريين للاضطهاد الديني على يد الإمبراطور دسيوس (Decius) سنة250م، وأشدها تلك التي كانت في عهد الإمبراطور دقلديانوس (Diocletian) (284–305م) الذي حاول القضاء على المسيحية وأنصارها [6]،اضطروا إثرها للهجرة إلى منطقة طيبة، وهناك جماعة أخرى هاجرت إلى الصحراء الغربية، فضلا عمن اتجه إلى منطقة النوبة السفلى والوسطى، ليستقروا في جزر النيل، أين بدأت عملية نشر المسيحية[7].

أمّا عن صلة العرب بالنوبيين فهي قديمة ترجع إلى فترة ما قبل ظهور الإسلام، فوجود البحر الأحمر سهّل عملية الاتصال، كذلك عامل الفتح الإسلامي للنوبة الذي حاولوا من خلالها ضمان الأمن من ناحية الجنوب، وتأمين طرق التجارة[8]،إذ أرسل عمرو بن العاص حملة بقيادة عقبة بن نافع لفتحها سنة 641هـ/1240م إلا أنها باءت بالفشل، رغم ذلك أعادوا إرسال حملة أخرى كانت تحت قيادة ابن أبي سرح العامري تمكن من التوغل جنوبا حتى دنقلة العاصمة سنة 653هـ/1252م، حاصرها فاضطر ملكهم إلى عقد صلح بينهم عرف باسم البقط[9]، والذي تضمن منها دفع ملك النوبة لبيت المسلمين ثلاث مائة وخمس وستين رأسا من الرقيق، يدفع لوالي مصر أربعين رأسا ،وحاكم كورة أسوان عشرون رأسا ومبعوث الوالي الذي يجيء إلى أسوان ،خمسة رؤوس للشهود العدول على معاهدة البقط وعددهم اثني عشر رأسا ،إضافة إلى عقد الهدنة بينهما[10]، كما يتعهد النوبيون بحفظ المسجد الذي في دنقلة ولا يقوموا بتهديمه وفي المقابل يقوم المسلمون بإمداد النوبة بألفي إردب من الغلال، ويهادى السفراء بثلاث مائة إردب، كما يرسلوا لهم حبوبا أخرى كالعدس إلى جانب الأقمشة ،وهذا بعد أن اشتكي ملك النوبة قلة الطعام في بلده ،كما عهدوا على تأمين أهل النوبة ما داموا قائمين على تنفيذ الشروط بينهم[11].

المجلد: (15) | العدد: (02) | السنة:2023 | صفحات المقال: 261– 277 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

مثّلت اتفاقية البقط التي أبرمت الركن الأساسي في التعامل بين المسلمين والنوبة لمدة لا تقل عن ستة قرون، كانت من ثمارها التمهيد للمسلمين لدخول النوبة دون تعرضهم لأي مكروه، وسمحت لهم بمزاولة شعائرهم الدينية بكل حرية [12].

أمام إحساس ممالك النوبة بالسيطرة المملوكية قام ملكهم داود بالإغارة على ثغر عيذاب ونهب متاجرها وقتل عدد كبير من أهلها، وكذلك أغار على مدينة أسوان[13]،فاضطر السلطان الظاهر بيبرس بإرسال حملة لإخضاع النوبيين، وتقرر تعيين شكندة[14] ملكا على النوبة بدلا من داود، ووضعت شروط بين النوبة والدولة المملوكية [15]، كانت أساسا جديدا للعلاقات بين البلدين قطعها الملك شكندة على نفسه للسلطنة المملوكية ،فخيروا بين الإسلام أو القتال أو الجزية، فاختار الملك هذه الأخيرة[16]،فأنشأ الدولة المملوكية ديوانا عرف بديوان النوبة مهمته مراقبة جمع الجزية والخراج و تعيين العمال لتلك المهمة[17]،رغم ما تم إبرامه إلى أن السلطان الظاهر بيبرس لم يطمئن لهم ،فأرسل عاملان كانا عيونا له في المنطقة، لم يستمر شكندة في الحكم ،إذ تعرض للقتل فخلفه نجله البكر الذي قبض عليه من طرف السلطان سيف الدين قلاوون بعد إرساله لحملة ، فخلّف أميرا يدعى سمامون، والذي كان له نفوذا واسعا استطاع به إقناع ملوك علوة بقوة السلطنة، فتقربوا إليهم بالهدايا وبعثوا للسلطان قلاوون سفراء ليعلنوا له ولاءهم، وحكّموه فيما ينشب بينهم وبين ملك دنقلة من خلاف [18]، اضطر السلطان المملوكي لوضع حامية مملوكية في دنقلة تحت قيادة الأمير أيدمر لاستتباب الأمن، إلا أنه اضطر إلى إعادة إرسال حملة أخرى سنة 688هـ/1289م، مما جعل الملك سمامون يبعث برسالة إلى القاهرة يسأل السلطان العفو و يتعهد بحسن السير والسلوك ،ودفع الالتزامات المقررة، ولكي يثبت حسن نواياه بعث رقيق وغيره من تقدمة فقبل منه[19]،يبدو أنه فعل مثل ذلك في سلطنة الأشرف خليل عندما امتنع عن إرسال البقط فاستخدمت القوة لعزله ،و أرسل بدله ملكا فألبس التاج بعد أن أقسم يمين الولاء والإخلاص للسلطان [20].

حرص ملوك النوبة أيضا على إظهار ولائهم لسلاطين المماليك ،من خلال إرسال الحمل المقرر عليهم كل سنة ،كذلك كانوا يخطبون ببلادهم للخليفة وسلطان مصر[21]،كما كانوا يحتكمون إليهم كلما نشب نزاع بينهم ،ويبدو ذلك واضحا من خلال قدوم الملك أياى[22] إلى القاهرة عام 704هـ/1304م،حاملا بالهدايا للسلطان المملوكي ،وطالبا منه المساعدة

المجلد: (15) | العدد: (02) | السنة:2023 | صفحات المقال: 261– 277 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

العسكرية ضد منافسيه، فاستجاب حاكم مصر لطلبه وأرسل معه فرقة عسكرية بقيادة والي قوص الأمير سيف الدين طقطبا، وبالانتهاء من المهمة عادوا إلى القاهرة سنة 705 هـ/1305م[23]، رغم أن الأمور لم تستقر لآياى، فقد ثار ضده أخوه كرنبس وقتله سنة 711 هـ/1311م،و عندما تولى هذا الأخير عرش النوبة بعد مقتل أخيه ،عمل على كسب تأييد السلطان المملوكي له، وتوجّه بنفسه إلى القاهرة سنة711هـ /1311م، لتسليم ما التزم به ملوك النوبة من مقرر[24]،و يذكر لنا ابن إياس أنه من جملة ما أرسل إلى مصر ألف رأس من الرقيق، خمسمائة جمل وخمسمائة بقرة[25].

بعد أن قضى الأمير كرنبس على مناوئيه في الداخل، اتجه للتخلص من التبعية المملوكية فامتنع عن دفع الجزية ،الشيء الذي جعل السلطان محمد الناصر يقوم بإرسال حملة عسكرية سنة 715هـ/1315 م لتأديبه بقيادة الأمير عز الدين أيبك ،وأرسل معه أحد الأمراء النوبيين وهو سيف الدين عبد الله بن شنبو[26]، و في المقابل لم يكد يصل الخبر إلى كرنبس حتى بعث إلى السلطان الناصر ابن أخته كنز الدولة بن شجاع الدين بن فخر الدين مالك بن الكنز المسلم ،ومعه كتاب يسأله أن يشمله بالعطف ويوليه الملك ،غير أن السلطان لم يجبه واعتقله في القاهرة [27].

أعادت السلطة المملوكية إرسال حملة عسكرية سنة 716هـ/1316م ،والسبب في إيفادها راجع لاستلاء عرب برية عيذاب على هدية ،كان سلطان اليمن قد بعثها مع رسله إلى السلطان الناصر محمد عن طريق البحر الأحمر[28]،خلالها تم القبض على كرنبس وأخوه أبرام وتم تتويج عبد الله بن شنبو[29] ملكا على مملكة النوبة[30].

بعد تنصيب عبد الله بن شنبو[31] ملكا على النوبة ،غادرت الحملة العسكرية المرسلة من مصر ،إلا أن الاضطرابات استمرت بعد مقتل الملك المعين من طرف كنز الدولة الذي أفرج عنه بعد اعتقاله من طرف السلطة المملوكية، بعد أن وعد السلطان الناصر محمد بإعادة إقطاعه في أسوان ،و تعهد له كذلك أن يدفع الخراج المستحق على سواقيه للديوان السلطاني، ووعده أيضا بأن لا يثير القلاقل والفتن، ولا يتجاوز أسوان جنوبا إلى النوبة ،فوافق السلطان على إطلاق سراحه وعودته إلى أسوان [32]، إلا أنه نكث بوعده و توجه مباشرة إلى دنقلة بدلا من أسوان ،ونادي بنفسه سلطانا، فاستقبله أهل البلاد بالطاعة ،ويبدو أن السبب في تعاملهم

المجلد: (15) | العدد: (02) | السنة:2023 | صفحات المقال: 261– 277 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

معه بهذه الطريقة أن الملك عبد الله بن شنبو عاملهم بقسوة وشدة و غيّر أعرافهم وتقاليدهم التي اعتدوها، كما كان مختالا متكبرا ،فكرهوا ولايته و تمنوا زوال حكمه ،فوجدوا في كنز الدولة ملاذا وأملا، وقد تمكن كنز الدولة من الانتصار عليه و قتله[33].

رفض السلطان الناصر محمد الاعتراف بسلطة كنز الدولة ،فتفطن إلى حيلة و هي إطلاق سراح أبرام أخي كرنبس الذي كان معتقلا – وهو خاله – وأرسله لإلقاء القبض عليه ،يظهر أن سبب إرسال السلطان الناصر لأبرام راجع إلى تخوفه من أن يتولى الملك ملك عربي ،مما سيؤدي إلى زوال السلطة المملوكية بالمنطقة ،كما وعده أيضا بإطلاق سراح كرنبس وإعادته إلى العرش، ولما وصل إلى دنقلة خرج كنز الدولة إليه طائعا، وسلّم إليه الملك وصار في خدمته، إلا أنه قبض عليه و أرادوا تسليمه إلى القاهرة ، إلا أن الأقدار لم تتركه فقد توفي أبرام بعد ثلاثة أيام[34]، فالتف حوله النوبيين وأصرّوا على تتويجه ملكا[35]، وممارسة حقوقه سنة717هـ/1317م،و أعلن استقلاله الكلي عن سلطان مصر[36].

يبدو أن الدور الذي قام به كنز الدولة لم يرق لسلطان مصر، فاعتبره ثائرا على السلطة ،لذا أرسل حملة كالعادة إلى بلاد النوبة سنة 723 هـ /1323م بقيادة الأمير علاء الدين علي بن قراسنقر، وأرسل معه كرنبس ليتوج ملكا بعد اعتناقه الإسلام[37]،وكان للسلطان ما أراد، وبين عودة الجيش إلى مصر بدأ الإسلام في الانتشار شيئا فشيئا ،فقاموا بإلغاء الجزية التي كانت تدفع من طرفهم[38]،مما جعل ملوكها يعلنون شعائرهم وولائهم وإخلاصهم للسلطان الناصر محمد، ويرسلون إليه التحف والهدايا، فقد ذكر المؤرخ أبو الفدا أن أحد هؤلاء الملوك أرسل هدايا من الرقيق، الأبقار...[39]،وعلى هذا الأساس ألغيت الجزية التي كانت تدفعها النوبة نتيجة لدخول أهلها في الإسلام[40]،وقد أكد ذلك المؤرخ القلقشندى قائلا: "قبعث السلطان كرنبس إليهم فملكهم و انقطعت الجزية عنهم من حين أسلم ملوكهم "[41].

أما عن بلاد البجة فإن مواطنهم اليوم تمتد من الأراضي الواقعة بين البحر الأحمر شرقا ونهر عطيرة ،ثم النيل غربا، ومن المنحدرات الشمالية للهضبة الإثيوبية في الجنوب إلى حدود مصر شمالا، عرفت في العهد الروماني بلفظ البلميون[42]، وقد ذكر اليعقوبي أنها تقع بين بحر القلزم وبحر النيل [43]، شق العرب طريقهم إليها منذ فترات مبكرة قبل الإسلام،

المجلد: (15) | العدد: (02) | السنة:2023 | صفحات المقال: 261– 277 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

نظرا لما كانت تتمتع به من خيرات كالزمرد والتبر والجوهر[44]، فاضطرت مصر إلى إصلاح علاقاتها التجارية والتي قطعت بعد فتح العرب لمصر[45].

خلال القرن الثامن ميلادي أكثر سكان بلاد البجة الأذية على سكان الصعيد ،فأرسل عبيد الله بن الحبحاب حملة انتصر عليهم، ففرض عليهم أن يدفعوا سنويا ثلاث مائة وخمسة وستين رأسا من الإبل ،على أن يجتازوا الريف تجارا غير مقيمين، وأن لا يقتلوا مسلما أو ذميا، وألا يؤووا عبيد المسلمين و يظل وكيلهم في الريف رهينة في يد المسلمين[46]،لم تمض على المعاهدة مدة حتى عادت وشنت غارات على أسوان و أذوا المسلمين، فرفع أمرهم إلى المأمون الذي جرد إليهم حملة بقيادة عبد الله بن الجهم سنة 233هـ/841م انتهت بكتابة عهد جديد من أهم شروطه: أن تكون بلاد البجة[47] من حد أسوان إلى حد ما بين دهلك وباضع ملكا للخليفة، وأن يكون كنون بن عبد العزيز – رئيسهم – وأهل بلاده عبيدا لأمير المؤمنين ،على أن يبقيه ملكا عليهم [48]،لكن نجد أنه نتيجة للهجرات العربية إليها دخل أهلها الإسلام واختلطوا بأهلها، بل بدأ أمراء البجة يدخلون الإسلام منذ أواخر القرن الأول للهجرة[49]، وبهذا أصبحت بلادهم تحت إدارة مصرية استمرت إلى عهد المماليك، إذ نجد أن السلطان الظاهر بيبرس فرض نفوذه عليها ،ووضع حامية مملوكية، فضلا على فرض أموال الزكاة على سكانها [50].

تعد بلاد النوبة بمثابة البعد الاستراتيجي لمصر من ناحية الجنوب، من هنا كان من الضروري عليها استكشاف المنطقة وإتباع كل الوسائل السلمية والعسكرية لضمان توازن علاقاتها بها و لتأمين حدود مصر الجنوبية.

3. التواصل الثقافي الديني المملوكي النوبي:

إن صلة النوبيين بالعرب قديمة تعود إلى ما قبل ظهور الإسلام ،وهي حقيقة تؤيدها الحقائق الجغرافية و الروايات التاريخية ،إذ لم يكن البحر الأحمر حاجزا أمامها، كما اعتبرت التجارة أهم وسيلة للاتصال بينهم[51].

تظهر العلاقات الثقافية والدينية إثر عملية التبشير المسيحي في المنطقة على يد رسل الكنيسة المصرية، وتحويل المعابد الوثنية إلى كنائس، إذ تواجدت الكثير منها تحمل في جدرانها نقوشا فرعونية [52]، إذ تعتبر كنيسة ماري بإبريم أول كنيسة بناها النوبيون، ويرجح

المجلد: (15) | العدد: (02) | السنة:2023 | صفحات المقال: 261– 277 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

أن بناءها يعود إلى أواخر القرن السادس أو أوائل القرن السابع ،ولما كانت النوبة لا تملك متخصصين في اللاهوت أو الفلسفة الدينية ظل الجهاز الكنسي بيد رجال مصريين مبعوثين من الكنيسة المصرية[53]، كانت دائما في حاجة لأن تتصل بمنبعها وهي كنيسة الإسكندرية للحصول على الأساقفة ،إلا أنها قطعت نهائيا منذ عهد البطريق سيريل سنة634هـ/ 1235م[54] ،كما كان مسيحي النوبة يحجون إلى بيت المقدس ،وظلوا يترددون على هذه المدينة المقدسة منذ القرن العاشر حتى القرن الثالث عشر، ولكثرة ترددهم أخذت أحد الأماكن المقدسة اسمهم، وظل على تلك التسمية حتى القرن الخامس عشر[55].

كان لهجرة العرب إلى بلاد النوبة أثر في تلك العلاقات ،وقد عرفت عدة منافذ لتلك الهجرة منها المنفذ الشمالي عبر النيل بمحاذاة مصر ،إذ عَرَفت المنطقة هذا المنفذ منذ قديم الزمان، كان يمثِّل الطريق التجاري الذي يربط مصر بوسط إفريقيا وبلاد النوبة والبجة، ازدادت أهميته بعد توقيع معاهدة البقط، حيث كفلت بعض بنودها للتجار والمهاجرين والقوافل حقَّ التحرك الحُرِّ فيه، وأعطتهم أمانًا للتوغل في أعماق البلاد، وأصبح مدخلاً للقبائل العربية إلى بلاد النوبة[56].

ورد في أمر النوبة آنفًا أنها وقّعت مع المسلمين (عهد البقط) بشروطه، وذلك العهد يمثِّل نوعًا من الاتصال الدائم بين المسلمين والنوبة[57] مدة ستة قرون ونيِّف، تسرَّبت خلالها المؤثرات الإسلامية مع القبائل العربية التي بدأت تتغلغل هناك منذ القرن الثاني للهجرة، على الرغم من أن المعاهدة كانت تعطيهم حقًّا في الدخول للنوبة مجتازة لا مقيمة، إلا أن هذه القبائل تقدَّمت في هجرتها وتوغلت جنوبًا، واستقرت في قطاعات عريضة منها في شرق ووسط وغرب السودان، حتى وصل هذا الوجود إلى بلاد الحبشة ودارفور في أواخر القرن السادس الهجري[58].

كذلك يلاحظ الأثر النصراني القبطي في استخدام اللغة القبطية في أداء الطقوس الدينية الكنسية، وقد ترجمت فيما بعد إلى اللغة النوبية، وكان كل ذلك بسبب هيمنة الكنيسة المصرية على الكنيسة النوبية، بل أضحت الكنيسة المصرية هي التي تقوم بتعيين وإرسال الأساقفة للكنيسة النوبية[59]، ومن مظاهر انتشار الثقافة الإسلامية وسط النوبيين اتخاذهم للأسماء العربية، وتسميتهم بها، فتتحدث المصادر عن أن حاكم إقليم الجبل النوبي اسمه قمر الدولة

المجلد: (15) | العدد: (02) | السنة:2023 | صفحات المقال: 261– 277 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

كشي، وعن بعض علماء المسلمين من النوبة مثل: يزيد بن أبي حبيب، وذي النون المصري، النوبي الأصل[60].

4.خاتمة:

من خلال هذه الدراسة المتواضعة خرجنا بمجموعة استنتاجات يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

– فرض الامتداد الجغرافي الاتصال الدائم بين الدولتين، فقد وجهت دولة المماليك سياسة حماية حدود مصر الجنوبية ببلاد النوبة، إذ كان ملوكها يحتكمون إلى سلاطين المماليك عند نشوب الصراع فيها لفض تلك النزاعات مثل ما حدث للملك أياى عندما قدم إلى القاهرة يطلب المساعدة ضد منافسه، الشيء الذي جعل الدولة المملوكية تقوم بإرسال عدة حملات على النوبة لاستتباب الأمن و فض النزاع .

– ربطت الدولة المملوكية اتصالها الدائم مع بلاد النوبة عن طريق معاهدة البقط والحمل المقرر عليهم كل سنة .

– اعتبرت بلاد البجة بالنسبة للدولة المملوكية نظرة بعد استراتيجي تجاري نظرا لخيراتها ودخولها الإسلام مما جعلها ورقة ضغط لها.

– يتضح أن العلاقات الدينية والثقافية المصرية النوبية أثرت عليها مجموعة من العوامل كان لها انعكاس في توجيه تلك العلاقات منها كنيسة الإسكندرية ودورها في تعيين الأساقفة، ،رحلة الحجاج النوبيين إلى فلسطين عبر مصر، وتأثير مسلمي بلاد البجة ،كما يبرز الأثر النصراني القبطي في اللغة القبطية في أداء الطقوس الدينية في الكنيسة المصرية والنوبية، بل تعداه إلى اتخاذ النوبيين لأسماء عربية مثل قمر الدولة كشي، وكذلك ظهور علماء أمثال يزيد بن حبيب وذي النون المصري.

المجلد: (15)	العدد: (02)	السنة:2023	صفحات المقال: 261– 277	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

5: الهوامش:

[1]– يعود بداية ظهور المماليك في الدولة الإسلامية إلى القرن الأول للهجرة (السابع للميلاد) نتيجة للفتوحات العربية الإسلامية التي وصلت إلى بلاد ما وراء النهر ، وما أحدثته هذه الحروب من أسرى ويعتبر الخلفاء العباسيون أول من استعان بالمماليك واعتمدوا عليهم في توطيد نفوذهم فأكثروا من شرائهم إذ يذكر أن شكّل الخليفة المعتصم (218–227هـ/833– 842م)من المماليك فرقا عسكرية بلغ عددهم حوالي عشرة ألاف ،كما قلّد البعض منهم مناصب عليا بعدما أن أسقط العرب من وظائف الديوان فولىّ الكثير منهم فيها ،كوضعه نائبا في بلاد المغرب ، بازدياد نفوذ وعبث وتسلّط هؤلاء المماليك ضجر أهل بغداد منهم فاضطر الخليفة إلى بناء مدينة سامراء لإسكانهم فيه لكن سرعان ما نمت قوة المماليك وأضحى لهم أثرا كبيرا في الحياة السياسية والاجتماعية فأصبحوا يتحكمون في السّلطة حيث يعزلون خليفة ويولّون آخر ،حتى أن بعض الخلفاء قتلوا نتيجة مؤامراتهم مثل ما حصل للخليفة المعتز سنة 255هـ/ 868م ، كذلك ما فعله نظام الملك بعد أن أحاط نفسه بالمماليك وقاموا بعزل ابنه محمود وولّوا ابنه بركيا أما عن ظهورهم في مصر فقد استخدمتهم الدولة الطولونية (254–292هـ/868–905م) ولإخشيدية (323–358هـ/935–969م) والفاطميين واعتبر الصالح نجم أيوب أكثر الخلفاء شراءا لهم وبعد وفاته وهو يحارب الصليبيين تمكنت زوجته شجر الدر بأن تتحكم على زمام الأمور بعد تخلص المماليك من الملك تورانشاه ابن الصالح نجم الدين أيوب إلا أنها تزوجت من الأمير المعز أيبك التركماني وعين حاكما سنة 648هـ/1250م.أنظر: المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**،تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان، 1997م، ج3؛ ابن تغري بردي،**النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة**،علق عليه محمد حسين الدين، ط 1 ،دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،1992، ج2؛ النويري، **نهاية الإرب في فنون الأدب**، تحقيق نجيب مصطفي فواز وحكمت كشلي فواز،دط،دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ؛سهيل طقوش، **تاريخ المماليك البحرية في مصر والشام 648–923هـ/1250–1517م**،ط1،دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان،1418هـ/1997م ؛أحمد مختار العبادي ، **قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام**، دط ،دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان،1969؛سعيد عبد الفتاح عاشور، **العصر المماليكي في مصر والشام**، ط2،دار النهضة العربية القاهرة ، 1976.

[2]– مصطفي محمد سعد، **الإسلام والنوبة في العصور الوسطى**، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2011، ص 17 وما بعدها ؛في حين ذكر المسعودي أن النوبة فرقتين :فرقة في شرق النيل وغربه وفرقة وأناخت على شطيه.أنظر: المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، اعتنى به وراجعه كمال حسن المرعي، ط1، المكتبة العصرية بيروت، 2005، ج2، ص14.

المجلد: (15) | العدد: (02) | السنة:2023 | صفحات المقال: 261– 277 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

[3]– العمري،**مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، السفر الثاني عشر، كتّاب الإنشاء شرقا، تحقيق إبراهيم صالح،دط، المجمع الثقافي أبو ظبي الإمارات العربية السعودية، ج 4، 2002، ص46.

[4]– اليعقوبي، **تاريخه**، تحقيق محمد مهنا، ط1، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 2010، المجلد1، هامش (02)، ص 236.

[5] – لمعرفة دخول المسيحية إليها، أنظر: مصطفي محمد سعد ،المرجع السابق،60 وما بعدها.

[6]- Wallis Budge,**The Egyptian sudan (its history and moumunents)** ,kegan Paul trench ,trubner,London,1907,vol1 ,t2,pp. 289-290

[7] – Budge, ,t2, p.290 مصطفي محمد سعد ،المرجع السابق،ص ص 57– 58

[8] – Budge,op.cit,t1,p.103.

[9] – البقط كلمة لاتنية تعني مجموع المدفوعات والإلتزامات من طرف إلى أخر ،عبد الله سالم محمد بازينه،**انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء** ،ط1،منشورات جامعة 7اكتوبر ،2010،ص 120.

[10] – المسعودي،المصدر السابق،ج2،ص 17؛النويري،المصدر السابق،ج30،ص 223

[11]– مصطفي محمد سعد ،المرجع السابق،ص 117

[12] – عبد الله سالم محمد بازنيه ،المرجع السابق ،ص 122

[13] – النويري،المصدر السابق،ج30،ص220؛مصطفي محمد سعد ،المرجع السابق،ص145

[14] – اختلفت المصادر في ذكر اسمه فالقلقشندي ذكره باسم مرقشنكز ،النويري باسم مرمشكد والمقريزي ذكره باسم مشكد وفي الخطط باسم سكندة ؛القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**،دط.المطبعة الأميرية بالقاهرة، 1914، ج5، ص276؛ النويري، المصدر السابق، ج30، ص220؛ المقريزي، السلوك، ج94.

[15] – من هذه الشروط نذكر ما أورده المقريزي:" قرر تقديم قطيعة كل سنة ثلاث فيلة و ثلاث زرافات و خمس فهود من إناثها و مائة نجيب أصهب و أربعمائة رأس من البقر المنتجة ،على أن تكون بلاد النوبة نصفين :نصفها للسلطان ونصفها لعمارة البلاد وحفظها ".أنظر: المقريزي، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**،تحقيق محمد زينهم مديحه الشرقاوي، ط1،مكتبة مدبولي القاهرة، 1998، ج1،ص 566؛ في حين ذكرت بعض المراجع شروط منها التنازل لسلطان مصر عن إقليم النوبة الشمالي – كان أهم وأخصب إقليم– ،العودة إلى الجزية القديمة وهي أربعمائة عبد وثلاثة أفيال وثلاث زرافات وخمسة نمور ومائة هجين ومائة ثور ونصف محصول الأراضي الزراعية ،إطلاق سراح الأسرى الذين أخذ هم داود عند حملته على أسوان ،استيلاء السلطان على ثروة وأملاك و ذخائر عبيد ملك النوبة و جميع الأمراء الذين ماتوا في القتال ،قبوله على تأسيس وكالة في دنقله و يقيم فيها مندوب مصري لمراقبة الجزية .أنظر: محمد مصطفي سعد ،المرجع السابق،ص 147.

– النويري، المصدر السابق،ج30، ص 221؛ المقريزي،السلوك، ج2، ص94؛

المجلد: (15) | العدد: (02) | السنة:2023 | صفحات المقال: 261– 277 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

[16]– المقريزي،الخطط،ج1،ص566.

[17]– المقريزي،السلوك،ج2،ص95.

[18]– ابن عبد الظاهر،تشريف الأيام ،ص46

[19]– المقريزي، السلوك ،ج2،ص 216؛في حين ذكر ابن عبد الظاهر أنه تعهد أن يدفع نصف إيراد دولته للسلطان وأن لا يقوم بأي جهود حربية يكون هدفها تهديد مصر.أنظر: ابن عبد الظاهر، **تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور**،تحقيق مراد كامل،مراجعة محمد علي النجار،د ط،الشركة العربية للطباعة والنشر،1961،ص 46.

[20]– محمد مصطفي سعد ،المرجع السابق،ص 155

[21]– القلقشندى، المصدر السابق، ج8، ص6

[22]– عرف باسم أمى عند القلقشندي أما المقريزي والنويري وابن خلدون فقد عرف بأي ؛القلقشندي،المصدر السابق،ج5،ص277؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مؤسسة الإعلامي للمطبوعات بيروت لبنان،د ط ، 1981 ،ج5،ص491.

[23] – المقريزي،السلوك،ج2،ص380؛النويري،المصدر السابق،ج32،ص63.

[24] – المقريزي،السلوك،ج2،ص472

[25]– ابن إياس، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**،د ط،مطابع الشعب،1960،ص133؛في حين ذكر المقريزي أنه تم إرسال مائتي جمال وخيول ووحوش فرقها على الأمراء.أنظر: المقريزي، السلوك،ج2،ص 472.

[26]– كان ابن شنبو قد أسر في إحدى الحملات السابقة التي أرسلها سلاطين المماليك إلى النوبة وهو ابن أخت داود ملك النوبة السابق، تربى ونشأ في الطباق السلطانية واعتنق الإسلام؛سهيل طقوش،المرجع السابق،هامش 5،ص279؛ذكره القلقشندي باسم نشلى عبد الله،المصدر السابق،ج5،ص277.

[27]– النويري،المصدر السابق،ج 32،ص181؛ المقريزي،السلوك،ج2،ص 505

[28]– كرم الصاوي باز ،**ممالك النوبة في العصر المملوكي – اضمحلالها وسقوطها وأثره في انتشار الإسلام في سودان وادي النيل (648-923هـ/1250-1517م)**،**دط**،المكتبة الأنجلو المصرية ،ص 124 ؛في حين ذكر القلقشندي السبب في كونه إمتنع عن دفع الجزية المقررة. أنظر: المقريزي ،المصدر السابق، ج5، ص277.

[29]– ويذكر أن ابن شنبو أسلم و حسن إسلامه ،و أقام بمصر بالأبواب السلطانية و أجرى عليه السلطان الناصر محمد رزقا، بهذا يكون قد بدأ دور جديد في تاريخ النوبة وهو تمكن بني ربيعة الكنوز بعد سنة واحدة من الوصول إلى عرش النوبة ،و كذلك اعتناق النوبيين الإسلام و انتهاء النصرانية كدين رسمي في تلك البلاد.أنظر: كرم الصاوي باز،المرجع السابق،ص 127.

[30] – النويري،المصدر السابق،ج32،ص182؛ المقريزي،السلوك،ج2،ص516

[31] – قام بتحويل كنيسة دنقلة الكبرى إلى مسجد ماتزال اللوحة التذكارية الموجودة في فناء المسجد تحمل اسمه إلى الوقت الحاضر.أنظر: كرم الصاوي باز، المرجع السابق،ص 127.

[32] – النويري،المصدر السابق،ج 33،ص49

[33] – المقريزي،السلوك،ج2،ص 516؛كرم الصاوي باز،المرجع السابق،ص 130

[34] – النويري،المصدر السابق،ج32،ص182

[35] – ذكر النويري أن الملك كنز الدولة رفض وضع تاج الملك رعاية لحق أخواله و تعظيما لهم وحفاظا لحرمتهم؛ المصدر السابق،ج32،ص192. إلا أن أن السبب الرئيسي يعود إلى أن التاج كان يحمل الصليب و هو الأمر الذي يتنافي و ديانته؛ مصطفي مسعد ،المرجع السابق،169.

[36] – المقريزي، المصدر السابق،ج 2،ص 516؛النويري،المصدر السابق،ج 32،ص192

[37] – المقريزي، السلوك، ج3، ص67

[38]– القلقشندي،المصدر السابق،ج5،ص277؛ ابن خلدون،المصدر السابق،ج5،ص429.

[39]– أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر،تقديم حسين مؤنس تحقيق محمد زينهم محمد عزب يحي سيد حسين،دار المعارف،دط وت، ص53.

[40]– ابن خلدون،العبر،ج5،ص 491؛ وفاء محمد علي،جهود المماليك الحربية ضد الصليبيين،د ط،المكتب الجامعي الحديث محطة الرمل الإسكندرية،1991،ص99.

[41]– القلقشندي،،المصدر السابق،ج5،ص277

[42]– يوسف فصل حسن، **الوجود العربي في بلاد البجة – صفحة من سجل التمازج العرقي الثقافي في السودان –،مجلة جامعة البحر الأحمر**، العدد 101 ،2011، ص9.

[43] – اليعقوبي، المصدر السابق، ج1، ص236؛ القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص274

[44] – نفسه، ص.237

[45]– محمد عبد الله النقيرة، **انتشار الإسلام في شرقي افريقية ومناهضة الغرب له**،دط، دار المريخ للنشر، الرياض، 1982، ص.ص 93–94؛ في حين ذكرت المراجع الأجنبية ؟ أنهم يدفعون مائة من الإبل أو 300دينار.

Jan Zahorik ,**the islamization of the Beja until 19the century** ,beitrage, kolner, afrika wissen cliftlichen kant1 ,universitait znkoh,2006, p p3-4

[46] – المسعودي ،المصدر السابق،ج2،ص ص 18–21

[47]– في الوقت الحاضر البجة يعيشون شمال شرق السودان وهناك من يتواجد في جنوب مصر وشمال إرتيريا. أنظر: Jan Zahorik ,op.cit,p. 2

المجلد: (15) | العدد: (02) | السنة:2023 | صفحات المقال: 261– 277 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

[48] – مصطفي محمد سعد،المرجع السابق ،ص 119–120

[49] – محمد عبد الله النقيرة،المرجع السابق،ص 94

[50] – المقريزي،السلوك ،ج2،ص99

[51] – مصطفي محمد سعد،المرجع السابق،ص 113

[52] – نفسه،ص ص 62– 70

[53] – نفسه،ص ص 71– 96

[54]– Budge,op.cit ,t2,p.130.

[55] – مصطفي محمد سعد،المرجع السابق،ص 145

[56] – جعفر أحمد صديق، انتشار الإسلام في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة، ص 108، قسم الدراسات العليا الحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى 1408هـ، ص 108.

[57] – إلا أن مصطفي محمد سعد ذكر على أنه لم تكن هناك علاقات ثقافية في الفترة المدروسة، و من الأمثلة على ذلك أن غلام بن عايد اليمني الأصل هبط أرض دنقلة أواخر القرن الرابع عشر ميلادي واستقر فيها كانت في غاية الضلالة و الحيرة لافتقارها إلى العلم والعلماء.أنظر: مصطفي محمد سعد،المرجع السابق،ص 196.

[58] – ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة بيروت لبنان، 1992 ، ص 57

[59] – شوقي الجمل، تاريخ سودان وادي النيل، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، 1969م،ص222

[60]– عبد الله عبد الرحمن الأمين، العربية في السودان، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1967م، ص16.

المجلد: (15)	العدد: (02)	السنة:2023	صفحات المقال: 261– 277	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

6.المصادر والمراجع باللغة العربية:

(1). أحمد مختار العبادي، **قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام**، دط، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1969.

(2). ابن تغري بردي،**النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة**، علق عليه محمد حسين الدين، ج2، ط 1،دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،1992.

(3). جعفر أحمد صديق، **انتشار الإسلام في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة**، قسم الدراسات العليا الحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى 1408هـ .

(4). ابن حوقل، **صورة الأرض**، منشورات مكتبة الحياة بيروت لبنان، 1992.

(5). ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر**، ج5، دط، مؤسسة الإعلامي للمطبوعات، بيروت لبنان، 1981.

(6). عبدالله عبدالرحمن الأمين، **العربية في السودان**، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1967م.

(7). سعيد عبد الفتاح عاشور، **العصر المماليكي في مصر والشام**، ط2، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1976 .

(8). سهيل طقوش، **تاريخ المماليك البحرية في مصر والشام 648-923هـ/1250-1517م**، ط1 ،دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان،1418هـ/1997م.

(9). شوقي الجمل،**تاريخ سودان وادي النيل**، ج1، دط ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1969م.

(10).العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، السفر الثاني عشر، كتّاب الإنشاء شرقا، تحقيق إبراهيم صالح، ج 4، دط، المجمع الثقافي أبو ظبي الإمارات العربية السعودية، 2002.

المجلد: (15) | العدد: (02) | السنة:2023 | صفحات المقال: 261– 277 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

(11).أبو الفدا، **المختصر في أخبار البشر**، تقديم حسين مؤنس تحقيق محمد زينهم محمد عزب يحي سيد حسين، دط، دار المعارف، دت.

(12).القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا** ج 5، دط، المطبعة الأميرية بالقاهرة، 1914.

(13).كرم الصاوي باز، **ممالك النوبة في العصر المملوكي – اضمحلالها و سقوطها وأثره في انتشار الإسلام في سودان وادي النيل (648-923هـ/1250-1517م)**،المكتبة الأنجلو المصرية ،دس.

(14).محمد عبد الله النقيرة،**انتشار الإسلام في شرقي افريقية ومناهضة الغرب له**، دط، دار المريخ للنشر،الرياض،1982.

(15).المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر** ،اعتنى به وراجعه كمال حسن المرعي، ج2، ط1، المكتبة العصرية بيروت، 2005.

(16).مصطفي محمد سعد ،**الإسلام و النوبة في العصور الوسطى** ،ط1،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ،2011 .

(17).المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق محمد عبد القادر عطا،ج3 ، ط1، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ،1997م .

(18).**المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، تحقيق محمد زينهم مديحه الشرقاوي،ج1، ط1،مكتبة مدبولي القاهرة،1998

(19).النويري، **نهاية الإرب في فنون الأدب**، تحقيق نجيب مصطفي فواز وحكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

(20).وفاء محمد علي، **جهود المماليك الحربية ضد الصليبين**،ط1،المكتب الجامعي الحديث محطة الرمل الإسكندرية،1991.

(21).ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، مطابع الشعب،1960.

(22).اليعقوبي، **تاريخه**، تحقيق محمد مهنا، المجلد1، ط1، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان2010.

المجلد: (15)	العدد: (02)	السنة:2023	صفحات المقال: 261– 277	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

- **المجلات:**

(1).يوسف فصل حسن، **الوجود العربي في بلاد البجة – صفحة من سجل التمازج العرقي الثقافي في السودان**–، مجلة جامعة البحر الأحمر ،العدد101 ،2011.

- **المراجع باللغة الأجنبية:**

(1). Jan Zahorik ,**the islamization of the Beja until 19the century**, beitrage, kolner,afrika wissen cliftlichen kant1,universitait znkoh, 2006.

(2). Wallis Budge, **the Egyptian sudan(its history and moumunents)**,vol1 ,t2, kegan Paul trench ,trubner , London, 1907